الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي
في سورة الإنسان

أ.م .د. إياد عبد الودود الحمداني م .د. خيـــري جبير الجميلي
كلية الآداب– جامعة البصرة كلية التربية للبنات– جامعة الانبار

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وبعد؛

فقد كان لملازمة سورة الإنسان، وتأمل أسلوبها، والأنساق التي تشكل بنيتها على مستوى المقاطع وفيزيائية الصوت، أبلغ الأثر في اختيارها موضوعاً للدراسة؛ فهي من السور المدنية التي تميزت بخصائص أسلوبية تذكرنا بخصائص السور المكية، وتنوعها الموضوعي.

إن هذه السورة تحقق انجازاً صوتياً كبيراً تحسه الأذن المدربة، لما تحمله أصواتها من انسجام ووضوح سمعي (Sonority)، وما تحققه تلك الأصوات من طابع نغمي، وكان عنوان البحث: ((الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان))، بمنزلة الاستجابة الواعية لما استحضره البحث في هذا الجانب (الشكلي) من جهود منذ الخطوات الأولى، أو لنقل: إنه نتيجة قبل أن يكون ميداناً للتجربة والتمحيص المنهجي الموسّع.

تحاول هذه الدراسة الكشف عن (بنية الانسجام) في السورة وما تهيئه لخدمة الفاصلة، باعتماد منهجية تحوم حول سمة الابتكار، وتفيد من التوجهات الحديثة في النقد الأسلوبي الذي هيأ طابعاً (إشكالياً) كان مدعاة للتفصيل فيه عند (توطئة) البحث؛ لبيان واقع هذه المنهجية. ثم انتقل البحث إلى دراسة البنية وتحليل المقاطع التي استندت إليها، مستعيناً بالجدولة الإحصائية، محاولاً إظهار الأنساق الصوتية، وأنماطاً من (التوقيعات)، فضلاً عن طائفة من الظواهر الصوتية/ الموسيقية وما تظهره من استقطاب تجاه الفاصلة كالتنغيم، والأنساق الصوتية الأخرى التي سمّاها البحث: ((مزدوجات التوافق الترصيعي)). ولم يدرس البحث النبر (Stress)، على الرغم من اعترافه بإنجازه الصوتي النطقي، والفونولوجي الوظيفي؛ لما يتَّسم به من طابع (زئبقي) يتصل بالأداء، ولا يرتبط بـ (بنية الانسجام) التي يقوم عليها مجال البحث.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مثلت المحصلة النهائية، لما كشف عنه البحث من ملاحظاتٍ علمية تقع في صميم موضوع البحث.

إن هذه الدراسة تعبّر ضمناً عن محاولة تمهيدية يُتَمَنىَّ أن تكون قد حققت قدراً من الفائدة؛ فهي تسعى لإنارة الطريق أمام دراسات أغنى وأكثر شمولية وجِدَّه ودقّة و ((من صدق الله نجا)).

توطئة:

أصبح القول: إن النصوص تفرض المنهج الملائم لاستنطاقها، من الأمور البديهية في الدرس النقدي الحديث، بل إن الأمر تعدّى ذلك (في الدراسات الجامعية) إلى أن أصبحت عنوانات البحوث لدى الكثير من الباحثين، إنمّا هي نتائج يُتَوصَّل إليها من جهود سابقة قبل البدء بكتابة تلك البحوث.

وعنوان هذا البحث نتيجة تحققت من التطبيق الآلي للمنهج (المفترض) الذي أفاد من الأسلوبية (Stylistics)، بوصفها محاولة منهجية لدراسة الأسلوب برؤية شمولية تكشف عن ((الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان))، استناداً إلى المنهج الإحصائي الذي يعدّ ((ذروة ما توصلت إليه الأسلوبية في سبيل تحقيق الموضوعية)) [١]، والابتعاد عن الانطباعات الذاتية، ومحاولة الانفتاح تجاه (أسلوبية التلقي)، ووضع اليد على مميزات (النص) برؤية (وصفية) تتفق وآليات تحليله؛ فقد ((تطورت النظرة إلى القارئ عبر الدراسات التي قامت حول الأسلوبية والألسنية والشعرية ونقد استجابة القارئ ونظرية التلقي أو الاستقبال))[٢]، فالقارئ – في المنظور الحديث – عنصر مهم في دراسة النص وتأويله، و((العلاقة بين القراءة والقرآن واضحة جلية يمكننا تفحّصها في الأصل اللغوي الذي اشتقت منه [لفظة قرآن])) [٣] وهنا مكمن الخطورة؛ إذ إن النص القرآني يفرض قراءته (المنضَبطة).

إن هذه الدراسة بحث في (الأسلوب) من حيث (الشكل)، وهي تحاول الكشف عن العناصر التي تهيئ ذهن المتلقي بما تظهره من تخييب لتوقعه وتوليد لحالة من التوتّر بينه وبين (النص)،

---

(1) حول الأسلوبية الإحصائية (الجزء الثاني من البحث)، محمد عبد العزيز الموافي، مجلة علامات في النقد، مج 11، ج 43، ص: 10.

(2) جماليات الأسلوب والتلقي – دراسة تطبيقية، أ.د موسى ربابعة: 86.

(3) التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته – في مشاهد القيامة، د. إياد عبد الودود عثمان: 131.

فالقراءة بالمفهوم الحديث ((إنتاج دلالة على نحو ما))[٤]، بل إن (الأسلوب) – مرتكز الدراسة – ((واقعة دلالية، وإن كان أوّل ما نكتشفه من هذه الواقعة تشكيلها اللغوي، غير أنه من الخطأ أن نقصر "الأسلوب" على "التشكيل اللغوي"))[٥].

إن دراسة (الشكل) بمعزل عن المضمون عمل إجرائي ذو علاقة بمنهجية البحث وأهدافه، إذ إنه يهيئ لدراسة المدرك الصوتي/ الدلالي، وهو يعي أن (الانسجام الشكلي) ما كان ليظهر لولا تفاعله مع المضمون.

البنية المقطعيّة والوضوح السمعي:

ينبني (النص) القرآني في سورة الإنسان من (702) مقطع، بمستويات متباينة من حيث النوع، فهو على نمطين*:

الأوّل: المقطع القصير (وهو مفتوح دائماً)، ويُرمز له بـ (ص ح)، وهو يشير إلى:

صامت (Consonant) + صائت قصير (Short Vowels)،

ومثاله: كُ / تِ / بَ

ص ح / ص ح / ص ح

الثاني: المقطع المتوسط بنوعيه:

أ. المفتوح، ويرمز له بـ (ص ح ح)

---

(4) حضور الدلالة وغيابها – وجهة نظر لغوية في قراءة النص (بحث)، محمد ربيع الغامدي، مجلة علامات في النقد، مج 10، ج39، ص:95.

(1) لسانيات الاختلاف – الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة،د. محمد فكري الجزّار، 330 ، وينظر حضور الدلالة وغيابها: 95، وجماليات الأسلوب والتلقي: 123.

* رصد الدرس الصوتي العربي الحديث ثلاثة أنماط من المقاطع، تتضمن ستة أنواع، على وفق الآتي:

أ - نمط المقطع القصير، ويتألف من صامت + صائت قصير، ويرمز له بـ (ص ح).

ب - نمط المقطع المتوسط، وهو نوعان:

١ - يتألف من صامت + صائت قصير + صامت، ويرمز له بـ (ص ح ص).

٢ - يتألف من صامت + صائت طويل، ويرمز له بـ (ص ح ح).

ج - نمط المقطع الطويل، وهو ثلاثة أنواع:

١ - يتألف من صامت + صائت قصير + صامت، ويرمز له بـ (ص ح ص ص)، ومثاله: برّ.

٢ - يتألف من صامت + صائت طويل + صامت + صامت، ويرمز له بـ (ص ح ح ص ص)، ومثاله: م/ هامّ.

٣ - يتألف من صامت + صائت طويل + صامت، ويرمز له بـ (ص ح ح ص) ومثاله: ضالْ/لين.

– ينظر علم الأصوات، د. كمال بشر: 510– 512.

وهو يشير إلى:

صامت (Consonant) + صائت طويل (Long Vowel)،

ومثاله: ذا / ذو / ذي

ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح ح

ب. المغلق، ويُرمز له بـ (ص ح ص)، وهو يشير إلى:

صامت (Consonant) + صائت قصير (Short Vowel) + صامت (Consonant)

ومثاله: قَدْ / مِنْ / قُلْ

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص

إن هذين النمطين بأنواعهما الثلاثة قد أسهما في انسيابية الأصوات وتنوعها التنغيمي، لما تقوم بهِ من إنجاز تنظيمي مرتبط بعملية المغايرة بين هذه الأنواع المقطعية:

(جدول يظهر عملية المغايرة بين الأنواع المقطعية الثلاثة في السورة)

رقم الاية	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	المجموع
1	6	5	11	22
2	10	8	12	30
3	6	8	6	20
4	8	8	6	22
5	6	8	7	21
6	8	7	6	21
7	8	8	6	22
8	10	8	6	24
9	10	8	8	26
10	5	6	7	18
11	11	6	8	25
12	8	5	3	16
13	11	10	6	27
14	10	7	6	23

15	10	7	9	26
16	4	6	5	15
17	6	7	5	18
18	2	5	4	11
19	13	6	12	31
20	10	4	6	20
21	17	8	16	41
22	7	7	6	20
23	3	5	8	16
24	8	4	9	21
25	7	2	5	14
26	7	3	8	18
27	14	8	6	28
28	8	8	12	28
29	11	7	6	24
30	9	11	6	26
31	13	8	7	28
المجموع	266	208	228	702

إن ظاهرة المغايرة في المقاطع الصوتية موجودة في التعبير الأدبي لمختلف اللغات الإنسانية، ولا سيما اللغة العربية، وقد وظّف القرآن الكريم هذه المغايرة بوصفها خصيصة أسلوبية تسهم في شد المتلقي [٦]، وقد رصد البحث هذه الخصيصة في سورة الإنسان التي أفادت من كثافة المقاطع المفتوحة: القصيرة (ص ح)، والمتوسطة (ص ح ح)؛ إذ شكلت النسبة الأكبر في نسيج النص (67.52%)، وهي عامل تفعيل لما يسمّيه الدرس الصوتي الحديث: الوضوح السمعي (Sonority)، لما تشكله بنيتها من صوائت قصيرة أو طويلة.

أما المقاطع المغلقة؛ فهي من نوع واحد متوسط رمز له بـ (ص ح ص)، وقد شكلت نسبته (32.48%)؛ إذ أسهم أيضاً في إظهار انسيابية الأصوات وأثرها التنغيمي** المنسجم مع الألوان

---

(1) ينظر: التصوير بالفاصلة القرآنية – دراسة في سبل المغايرة وتأثيرها في المتلقي (بحث)، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، مجلة المهرة، ع3، 1425هـ – 2005م، 62 – 68.

** التنغيم (**Intonation**): يطلق هذا المصطلح على الألوان الموسيقية التي توافق الكلام وما يتحقق فيها من تنويعات صوتية، وهي وحدة غير مقطعية ذات تأثير بلاغي.

- M.H. Abrams, A Glossary of Literary Terms (Bangalore: Easterm Press put ltd., 2004) PP 144, 163; See also John Lyons, Language and

الموسيقية التي تنتجها الأصوات المحيطة، وتتشكل على إثرها نغمات متباينة بصورة ارتفاعات وانخفاضات أو (توقيعات صوتية) تفرض وجودها المنسجم في ثنايا السورة، بوصفها وحدات غير مقطعية تسهم في شدّ المتلقي واستقطابه تجاه البنى الدلالية، فهو مشارك ومنتج وطرف أساس في عملية الاتصال، هذا من جانب، أمّا من جانب الشكل؛ فإن هذه الألوان الموسيقية ومتعلقاتها المقطعية ذات إنجاز أدائي مهم في مجال التلاوة والتجويد؛ فالمقطع ((عند النطق يبدو أوضح وأكثر تأثيراً على السمع؛ إذ هو يمثل قمة الوضوح لاشتماله على الحركة Vowel، والحركة كما هو مقرّر معروف تمثل قمة الوضوح السمعي بالنسبة لسائر الأصوات))[٧].

التوقيعات النغمية المولِّدة:

يتمكن المتلقيّ اللمّاح من إيجاد توقيعات نغمية تقوم بوظيفة توليدية اشتقاقية للأصوات أو المقاطع، كالذي يحصل في الآتي:

١) الجناس المشتق، وما رافقه من (تقسيم)*** في قوله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرً (8)﴾

جناس مشتق تقسيم

2) توقيعات ترتكز على المفعول المطلق(وهي نمط من الجناس المشتق أيضاً):

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)﴾.

Linguistics: An Introduction (London: Cambridge University Press, 1999), PP. 60-61; 254-255.

(2) علم الأصوات: 505.

*** **التقسيم: توافق يحصل بين ما يفصَّل به من معانٍ، وأنساق توقيعية شكلية تلازمها في التعبير، وقد اختلف مفهومه عند القدماء.**

– ينظر ما استقصاه د. أحمد مطلوب من تعليقات نقدية وتعريفات لمفهوم التقسيم في: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 2/329– 334.

﴿ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (14)﴾.

﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16)﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْءَانَ تَنزِيلاً (23)﴾.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (28)﴾.

3) (تشابه الأطراف)**** من قوله تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَت قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا(16)﴾.

الأنساق الصوتية في بنية الفاصلة:

ترتبط الفاصلة في سورة الإنسان بأنساقٍ متوازية مع الفواصل الأخرى في (النص)؛ فهي على اختلاف صورها ذات ((منزلة متقدّمة في التحكّم بالصوت لجذب انتباه المتلقّي نحو بؤرٍ يمكن وضع اليد عليها)) [٨]، بإفادتها من عملية تخييب أفق التوقع(Defeated Expectancy) المرتبط في هذه السورة بـ (تناسب الفواصل)؛ فالمتلقي يتوقّع المغايرة، لكن أفق توقّعه يخيب، وبسبب ذلك يرتبط الأداء الصوتي/ الموسيقي ارتباطاً شديداً بعملية التقبّل (Response)؛ إذ إن الذائقة الأدبية تجعل المتلقي ينتظر المغايرة الصوتية/ الموسيقية استجابة لرغبة متأصلة فيه، ويمكن أن نلمح مَظاهر الإفادة من ذلك في أكثر الأنماط بروزاً في الآداب الإنسانية:

1) الموشَّح، ولا سيّما في ما عُرفَ بـ(الخرجات)؛ وهي توقيعات شكلية تستند إلى الصوت.
2) شعر الفرسان الإيطالي (Trobadour) الذي يعتمد المزدوجات الصوتية في نهايات الأسطر الشعرية، وما يرافقها من مغايرة.

**** تشابه الأطراف: مصطلح اختُلِفَ في بيان مفهومه لتعدد زوايا النظر إليه، والذي يقصده البحث من تشابه الأطراف ما جاء في قول ابن معصوم المدني في معرض حديثه عن الشعر إن ((تشابه الأطراف عبارة عن أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها فتكون الأطراف متشابهة))

– أنوار الربيع في أنواع البديع: 45/3، وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 164/2– 166.

(1) التصوير بالفاصلة القرآنية: 62.

3) استخدم الشاعران: (ملتن و ووردزويرث) وغيرهما نمطاً هائلاً تأثر بنظام الموشَّح وشعر الفرسان، وهو السونيتة (Sonnet) الإيطالية، ثم ظهرت السونيتة البريطانية (الشكسبيرية) التي تنقسم على ثلاث رباعيات ومزدوج (Couplet)؛ وهو عبارة عن سطرين شعريين متوافقين في الفاصلة تنتهي بهما السونيتة.(٩)

4) يمكن أن نلمح توظيف المغايرة هذه في شعر المهجريين، وبعض أمثلة الشعر الحرّ، وغيرها.

إن حصول التغيير في الصوت/ الموسيقى، إنّما يرتبط بإنجاز الأسلوب، وإذا أمعنا النظر في فواصل هذا (النص)، وما يرافقه في الأداء من وقوفٍ تنغيمي، فإننا سنلاحظ ارتكازه على المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح).

وتُظهر الفاصلة تناوباً عمودياً في نسقها بين صوتي الواو والياء في (الردف)، وهذا التناوب يتوافق مع الذائقة الشعرية العربية. أما (الروي)؛ فيستند إلى صوتي الراء واللام المتناوبين عمودياً (الراء المفخَّمة واللام المرققة)*****، ثم صوت الميم الذي أسهم في تحقيق (حسن الخاتمة)، وهذه الأصوات الثلاثة (الراء، واللام، والميم) تصنّف ضمن حروف الإدغام، ويقع فيها الإبدال،(١٠) أمّا صوت الألف؛ فقد أفادت منه الفاصلة في ما سمَّاه العلماء القدماء (الإطلاق) في جميع فواصل السورة، وصوت الألف هذا من الأصوات ذات الوضوح السمعي العالي.(١١)

إن ظاهرة التكرار الصوتي في بنية الفاصلة ((لا تختص به سورة دون أخرى، بل تكاد سور القرآن كلّها أن يتحقق فيها هذا التكرار. وفي السور التي تتعدّد فيها الفواصل، نجد – في الغالب – تقارباً بين الفواصل المتعددة في صفات الحرف الأخير من كل فاصلة)) (١٢)، لكن هذا التكرار

---

(1) Abrams, 290

***** يشير د.كمال بشر إلى أن اللام والراء لهما حالات خاصة تستدعي نظراً مستقلاً، لاختلاف أحوالهما من حيث التفخيم والترقيق، فاللام صوت مرقق بطبيعته ولكنه ينفرد بأحكام خاصة من حيث الترقيق والتفخيم في لفظ الجلالة (الله) وحده، فهو في هذا اللفظ يفخّم إذا سبق بضم أو فتح، ولكنه يرقّ إذا جاء بعد كسر، أمّا الراء في اللغة العربية الفصحى؛ فهي صوت ينفرد بمجموعة من السمات النطقية التي تخفى على كثير من المثقفين وبعض المتخصّصين، إذ يأتون بها على وجه غير صحيح من حيث التفخيم والترقيق.

– ينظر دراسات في علم اللغة، د.كمال بشر: 210– 213، والأصوات العربية المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى، عبد المعطي نمر موسى: 61– 62.

(2) ينظر مباحث في علم اللغة واللسانيات، أ.د رشيد عبد الرحمن العبيدي: 151.

(3) Abrams, 203

(4) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د.صبحي إبراهيم الفقي: 2/138.

في سورة الإنسان قد اتخذ شكلاً منسجماً اقترن بالوضوح السمعي، فأصوات (الواو، والياء، والراء، واللام، والميم، والألف)، ((تحتوي على أكثر من ثلاث حزمٍ صوتيّة))[١٣].

(جدول يظهر الأجزاء الرئيسة في الفاصلة)

رقم الآية	جدول الفاصلة	الروي	الردف	الإطلاق
1	مذ/كورا	و	ر	ا
2	بـ/صيرا	ي	ر	ا
3	كـ/فورا	و	ر	ا
4	سـ/عيرا	ي	ر	ا
5	كا/فورا	و	ر	ا
6	تف/جيرا	ي	ر	ا
7	مست/طيرا	ي	ر	ا
8	أ/سيرا	ي	ر	ا
9	شـ/كورا	و	ر	ا
10	قمطـ/ريرا	ي	ر	ا
11	سـ/رورا	و	ر	ا
12	حـ/ريرا	ي	ر	ا
13	زمهـ/ريرا	ي	ر	ا
14	تذ/ليلا	ي	ل	ا
15	قوا/ريرا	ي	ر	ا
16	تق/ديرا	ي	ر	ا
17	زنجـ/بيلا	ي	ل	ا
18	سلسـ/بيلا	ي	ل	ا
19	مذ/ثورا	و	ر	ا
20	كـ/بيرا	ي	ر	ا
21	طـ/هورا	و	ر	ا
22	مشـ/كورا	و	ر	ا

(5) نقلاً عن: شعر لقيط بن يعمر الإيادي – دراسة صوتية، د.قاسم راضي مهدي البريسم: 10.

23	تذ/زيلا	ي	ل	ا
24	ك/فورا	و	ل	ا
25	أ/صيلا	ي	ر	ا
26	ط/ويلا	ي	ل	ا
27	ث/قيلا	ي	ل	ا
28	تب/ديلا	ي	ل	ا
29	س/بيلا	ي	ل	ا
30	ح/كيما	ي	م	ا
31	أ/ليما	ي	م	ا

الأثر التنغيمي في الفاصلة:

لا يتم اكتشاف الأثر التنغيمي في الفاصلة من التحليل اللغوي المجرّد، بل من خلال ما تظهره الوقفات من تلوين موسيقي ذي تنغيم مرتفع (Rising Tone)، أو منخفض (Falling)، ((فللنغمات مدى من حيث الارتفاع والانخفاض تحسه الأذن المدرَّبة)) [١٤]، وترتبط هذه النغمات في بنية الفاصلة، بما يهيئه السياق في الآي من وقف (stop) وسكت (pause) واستراحات، أو أخذ النفس بحسب اصطلاح المتخصصين بالأداء الصوتي في القرآن وتجويده.[١٥]

وتسهم الأصوات التي تشكِّل نسق الفاصلة في تحقيق التلوين الموسيقي التنغيمي بمستوياته المختلفة؛ بسبب ما تحققه تلك الأصوات من امتداد نطقي، فضلاً عن خصائصها الأخرى التي أشرنا إليها.

إن التوازي الصوتي الذي تظهره بنية الفاصلة في السورة، هو في حقيقة أمره تزويق لفظي يستند إلى (الترصيع)****** الذي أظهر انسجاماً كبيراً بين مزدوجات التوافق فيه.

---

(1) علم الأصوات: 533.

(2) ينظر المصدر نفسه: 553.

****** الترصيع في اصطلاح النقاد القدماء: ظاهرة صوتية في الشعر والنثر، تستند إلى مديات الارتفاع والانخفاض النغمي في أنساق صوتية/موسيقية منسجمة، ارتبطت عند قسم من النقّاد القدماء بـ (التسجيع) و (التجنيس) و (الوزن) وغيرها.

– تنظر آراء النقاد في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 2/134– 140، وينظر أيضاً مصطلح (المرصَّع) في المصدر نفسه: 3/245.

(جدول يظهر مزدوجات التوافق الترصيعي التام)

الشكل الأول	رقم الآية	الشكل المقابل	رقم الآية
مزاجها كافورا	5	يـ/فجرونها تفجيرا	6
نضرةً وسرورا	11	جنةً وحريرا	12
وملكاً كبيرا	20	شراباً طهورا	21
ليلاً طويلا	26	يوماً ثقيلا	27
عليماً حكيماً	30	عذاباً أليما	31

أبدى ما يُسَمَّى بأفق الانسجام (Harmony Horizon) في مزدوجات التوافق الترصيعي التام، أن جميع المتقابلات تتفق تماماً في الحركات والسكنات في مدى ليسَ بالقصير يشمل أهم أجزاء الفاصلة.

ويمكن للمتفحّص رصد أمثلة أخرى من المتقابلات تقترب في تأثيرها من مزدوجات التوافق الترصيعي السابقة، لكن أفق الانسجام فيها غير تامٍ؛ بسبب عدم اتفاقها في طائفة من الحركات والسكنات. وعلى الرغم من ذلك فإن إنجازها الصوتي يحقق نوعاً من الانسجام لا يقلّ أهميَّة عن ما أظهرته مزدوجات التوافق الترصيعي التامة.

(جدول يظهر مزدوجات التوافق الترصيعي غير التام)

الشكل الأول	رقم الآية	الشكل المقابل	رقم الآية
شيئاً مذكورا	1	سميعاً بصيرا	2
شرّهُ مستطيرا	7	يتيماً وأسيرا	8
جزاءً ولا شكوراً	9	عبوساً قمطريرا	10
شمساً ولا زمهريرا	13	كانت قواريرا	15

وممّا يُلاحظ في مزدوجات التقابل الترصيعي بنوعية (التام وغير التام)، أنّها تسهم في تهيئة المتلقي، وتنشيط توقّعه للشكل الصوتي في الفاصلة.

الخاتمة:

أشرنا في (المقدمة) إلى أن عنوان البحث: ((الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان))، لم يكن إلاّ نتيجة توصلت إليها الدراسة في الخطوات الأولى قبل الدخول في مجال التجربة والتمحيص المنهجي الموسَّع، وظهرت العنوانات الداخلية للبحث معبّرة عن النتائج الأساسية فيه، فضلاً عن ما هيّأته الإحصاءات من ملاحظاتٍ علمية تقع في صميم موضوع البحث، اتّخذَ بعضها الطابع الوصفي، ويمكن تلخيص هذه النتائج والملاحظات بالآتي:

1- رصد البحث نمطين من المقاطع؛ الأول: المقطع القصير (ص ح)، والثاني: المقطع المتوسط بنوعيه: المفتوح (ص ح ح)، والمغلق (ص ح ص). وليس في السّورة أي نوع آخر.

2- أسهم هذان النمطان – بأنواعهما الثلاثة – في انسيابية الأصوات وتنوعها التنغيمي؛ لما تقوم به من إنجاز تنظيمي مرتبط بعملية المغايرة بين هذه الأنواع المقطعية.

3- وجد البحث أن سورة الإنسان قد أفادت من كثافة المقاطع المفتوحة:القصيرة (ص ح)، والمتوسطة (ص ح ح)، فقد شكلت نسبتها 67.52% من نسيج النص. وهي عامل تفعيل لما يسميه الدرس الصوتي الحديث (Sonority)، لما تشكله بنيتها من صوائت قصيرة أو طويلة.

4- ظهرت المقاطع المغلقة بهيئة واحدة ضمن المقاطع المتوسطة (ص ح ص) شكلت نسبتها 32.48% من نسيج النص؛ إذ أسهمت هي الأخرى في إظهار انسيابية الأصوات وأثرها التنغيمي المنسجم مع الألوان الموسيقية التي تنتجها الأصوات المحيطة، وتتشكل على إثرها نغمات متباينة بصورة ارتفاعات وانخفاضات، أو توقيعات صوتية، تفرض وجودها المنسجم.

5- إن هذه الألوان الموسيقية تسهم في شدّ المتلقي واستقطابه تجاه البنى الدلالية، فهو مشارك، ومنتج، وطرف أساس في عملية الاتصال.

6- لهذه الألوان الموسيقية ومتعلقاتها المقطعية إنجاز مهم في مجال التلاوة والتجويد؛ إذ إن سمات المقاطع والأصوات تبدو أوضح، وأكثر تأثيراً في السمع عند النطق.

7- تقوم بعض التوقيعات النغمية بوظيفة توليدية اشتقاقية للأصوات أو المقاطع، كالذي يحصل في (الجناس المشتق) وما رافقه من (تقسيم)، في الآية (8) ،وترتكز هذه

التوقيعات على المفعول المطلق في خمسة سياقات منسجمة في بنية السورة تمثلها الآيات: 6،14،16،23،28 ،وهذا النمط من المفعول المطلق يمكن إدخاله ضمن الجناس المشتق أيضاً، و تظهر السورة نوعاً من التكرار الجمالي (يسهم في التوقيعة النغمية) سمّاه الدرس البلاغي العربي (تشابه الأطراف) في الآيتين 15،16.

8- ترتبط الفاصلة في سورة الإنسان بأنساق متوازية مع الفواصل الأخرى في (النص)؛ فهي على اختلاف صورها ذات قدرة على التحكم بالصوت لإظهار عملية تخييب أفق التوقع (Defeated Expectancy) المرتبط في هذه السورة بـ (تناسب الفواصل).

9- يرتبط الأداء الصوتي/ الموسيقي ارتباطاً شديداً بعملية التقبل (Response)؛ إذ إن الذائقة الأدبية تجعل المتلقي ينتظر المغايرة استجابة لرغبة متأصلة فيه.

10- يمكن أن نلمح مظاهر الإفادة من المغايرة الصوتية/ الموسيقية في (الفاصلة)، وذلك في أكثر الأنماط الأدبية الإنسانية بروزاً، كالموشَّح، وشعر الفرسان الإيطالي (Trobadour)، والسونيتة (Sonnet)، فضلاً عن شعر المهجريين، وما يظهر في بعض أمثلة الشعر الحر، وغيرها.

11- ترتكز الفواصل في السورة على المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح).

12- تظهر الفاصلة تناوباً عمودياً في أنساقها بين صوتي: الواو والياء في (الردف)، وهذا التناوب يتوافق مع الذائقة الشعرية العربية.

13- يستند (الروي) في الفاصلة إلى صوتي: الراء واللام المتناوبين عمودياً، والمتلائمين في صفاتهما الصوتية.

14- ارتبط صوت الميم بالأداء الصوتي من خلال ظهوره في الفاصلتين الأخيرتين في السورة، تحقيقاً لـ (حسن الخاتمة).

15- أفادت الفاصلة من (الإطلاق) المستند إلى صوت الألف في جميع فواصل السورة، وهذا الصوت ذو وضوح سمعي عال.

16- لا يتم اكتشاف الأثر التنغيمي في الفاصلة من التحليل اللغوي المجرَّد، بل من خلال ما تظهره الوقفات من تلوين موسيقي ذي تنغيم مرتفع (Rising Tone)، أو منخفض (Falling).

17- تسهم الأصوات التي تشكل الفاصلة في تحقيق التلوين الموسيقي التنغيمي في مستوياته المختلفة؛ بسبب ما تحققه تلك الأصوات من امتداد نطقي، فضلاً عن خصائصها الأخرى.

18- إن التوازي الصوتي الذي تظهره أنساق بنية الفاصلة في السورة – في حقيقة أمره – تزويق لفظي يستند إلى (الترصيع) الذي أظهر انسجاماً كبيراً بين مزدوجات سمَّاها البحث (مزدوجات التوافق الترصيعي)، يتحقق من خلالها ما يُسَمَّى بأفق الانسجام. (Harmony Horizon)، وهو على مستويين: الأول: التام، والثاني: غير التام.

19- أسهمت مزدوجات التقابل الترصيعي بنوعيه (التام، وغير التام) في تهيئة المتلقي وتنشيط توقّعه للشكل الصوتي في الفاصلة.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع:

أولاً: (الكتب)

١ - الأصوات العربية المتحوِّلة وعلاقتها بالمعنى، عبد المعطي نمر موسى، الأردن/ إربد، ط1، 2001م.

٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ج3، 1388هـ - 1968م.

٣ - التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته – في مشاهد القيامة في القرآن، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2004م.

٤ - جماليات الأسلوب والتلقي – دراسة تطبيقية، أ.د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2000م.

٥ - شعر لقيط بن يعمر الإيادي – دراسة صوتية، د. قاسم راضي مهدي البريسم، الموسوعة الصغيرة (376)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1412هـ - 1991م.

٦ - علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

٧ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ج2، 1421هـ - 2000م.

٨ - دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

٩ - لسانيات الاختلاف – الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، د. محمد فكري الجزار، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م.
١٠ مباحث في علم اللغة واللسانيات، أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط1، 2002م.
١١ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ج 1 (1403هـ – 1983م)، ج2 (1406هـ – 1986م)، ج3 (1407هـ – 1987م).

ثانياً: (المرجعان الأجنبيان)
١ - M.H. Abrams, A Gloosary of Literary Terms (Bangalore: Easterm Press Put ltd., 2004).
٢ - John Lyons, Language and Linguistics: An Introduction (London: Cambridge University Press, 1999).

ثالثاً: (البحوث)
١ - التصوير بالفاصلة القرآنية – دراسة في سبل المغايرة وتأثيرها في المتلقي (بحث)، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، مجلة المهرة، تصدر عن كلية التربية/ المهرة، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ع3، 1425هـ – 2005م.
٢ - حضور الدلالة وغيابها– وجهة نظر لغوية في قراءة النص (بحث)، محمد ربيع الغامدي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 10، ج39، ذو الحجة 1421هـ – مارس 2001م.
٣ - حول الأسلوبية الإحصائية (بحث)، ج2، محمد عبد العزيز الموافي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج11، ج43، محرم 1423هـ – مارس 2002م.